

## الأبواب

... هكذا مع أول الشمسِ كانَ يرحلُ، ينقرُّ الترابَ الأشقرَ في انقباضِ اليدينِ، في إيقاعاتِ ذاته، وفي صوتِ عصاةِ الخشبِ. كانَ يَتمتُّمُ أغنيةَ حُبٍ قديمةً، وتغرَّقُ فيما خَلَفَ الجبالِ عيناها، وَشَفَتَاها تَبْتَلانِ من رُطوبةِ الصُّبحِ، تتدلَّانِ كحباتِ التفاحِ، كنشوةِ قُبلةٍ كانَ منذُ زمنٍ يشتهيها. صوتهُ كانَ ككفعلٍ حديديٍّ، يسترقُّ ذاكرةً غيرَ مسموعةٍ من أولِ الصوتِ، لا تراهُ إلا بضَعُ أشجارٍ من اللبابِ، ولا تلمسُهُ إلا رفوفُ الحساسينِ التي تمرُّ من خلفِ أُذُنَيْهِ كريحٍ تُذكِّرُهُ بشيءٍ مختبئٍ وراءَ ملامحِ جبينه. هكذا، كانَ يرحلُ، مع أولِ الشمسِ، يمشي نحوَ شارِبٍ ممتدِّ على وجهه كسياجٍ خشبيٍّ، نحوَ بريقٍ من السكرِ في الفَيِّ، والقليلِ من سُورِيَةِ الفَريكَ. مُستسلمةً تلكَ الدروبُ كانتُ، وتَسَطُّحُ شروقِ الشمسِ على قممِ الجبالِ يَبانُ كقافلةٍ بغيرِ تتركُ "الجزيرة". كانَ يتذكرُ الرؤى الدائريةَ للجغرافيا فيقفُ! يدورُ حولَ نفسه ثمَّ يعودُ للمشي الثقيلِ والتمتمة.

## الحواس

ستتركي أصواتُ صراصيرِ الليلِ، وتأخذُ من الأزيزِ رعشةَ الشعورِ بالبردِ، والدَّفءِ، ورائحةِ القمحِ المُحمَّصِ ... لِمَ لا تذهبُ من رَغبتِي واندهالي حاجةَ المشي على صدفِ البحرِ عارياً من كلِّ شيءٍ حتى غليانِ البُحورِ؟ لِمَ لا تُطلُّ عليَّ من العمقِ حوريةٌ تدلُّني على طريقِ "عَنيَّة"، من أينَ يأتي الأنبياءُ؟ وأينَ تذهبُ أسرابُ الطيورِ؟!

## الحالات

قلتُ للذَّيْنِ رَأوا: "إنَّ في التَّجوالِ أفقاً لا ينوءُ"، فتنصهرُ في المشيِ حالةٌ من المشيِ...، قلتُ: "عيني في الليلِ قناديلُ صفوِ التَّجومِ تُرشُّ على الدُّروبِ، كأعينٍ من اليقظةِ تنغمسُ في لحظةِ حُلْمٍ". قلتُ: "متى يا سكانَ مريامَ رأيتُم امرأةً تُعني في الحبِّ شعراً، وفي الأمكنةِ رثاءً". لقد عُدتُ للتَّجوالِ إلى نفسي، إلى حافيةِ الحسِّ، إلى حُلْمٍ من اللمسِ وحريةٍ من الشمسِ.

## الهواجس

كنعانيةٌ لُغتي،  
عربيةٌ المسمَعِ.  
أُذهلُ من عمقِ الأشياءِ،  
من تجوالِ الصوتِ في القلبِ.  
أسمَعُك تُغنينَ فأرتعشُ،

أَسْأَلُ عَنْ مَعْنَى الْإِمْتِدَادِ فِي نَسْغِ الصَّوْرِ،  
فِي الْمَوْجِ،

وَعَنْ قَبِيلَةٍ كَانَتْ هُنَا قَبْلَ رَحِيلَ،

عَنْ مَلَمَسِ السَّمَاءِ وَصَمَتِ الدُّرُوبِ:

أَيَا طَيْرِ الْفِينِيْقِ دُلَّنِي عَلَى طَرِيقِ "عُنَيْتَةَ"

عَلَى الطَّرِيقِ دُلَّنِي،

وَضَعْ عَلَى الدَّرْبِ فُتَاتِ الْقُطْنِ،

وَأَصْغِ لَهَا

وَقُلْ لَهَا

هَا أَنَا أَبْعَثُ سَلَامَ الْأَحْبَةِ كَالْأَمْلِ الْعَتِيْقِ، كَعَسَلٍ عَلَى سَمْنِ،

أَسْجُدُ وَصَلِّ لِأَيْلِ،

وَرُشُّ عَلَى أَمْلِ اللَّقَاءِ زِدَاذًا مِنْ جَرِيْشِ الْقَمْحِ وَدُلَّنِي،

أَيَا طَيْرِ الْفِينِيْقِ دُلَّنِي!

وَاقْرَأْ فِي الْمَعْبَدِ كَفِّيَّ.

## الْبَحْثُ عَنِ الْأَمْكِنَةِ

وَجَدْتُ مَبْدِيهَا الْبُرْتَقَالِيَّ عَلَى دَرْبِ الْقَرِيْبَةِ فِي تَرَابِ لَرْجٍ مِنْ دَمٍ يَنْزَلِقُ كَمَرْقَةِ الْعَجِيْنِ، كَانِكَمَا شِ الْمَعِدَّةُ عَلَى جَوْعٍ وَخَبِيْبَةٍ! انْغَمَسْتُ يَدَايَ بِحُمْرَةِ الْمَكَانِ، وَذَهَلْتُ كَالْيَوْمَةِ فِي دَوْرَانِ الْأَفْقِ وَنَزَقِ الشُّعُورِ فَلَمْ أَجِدْهَا! يَقُولُونَ: "كَانَتْ تُغْنِيَّ"، وَأَذْكُرُ! ... يَوْمَ رَفَعْتُ ثَوْبَهَا وَبَانَتْ فِيْمَا وَرَاءِ الثُّوبِ مَلَامِحُ عَرَقِ الرَّجَالِ، تَلَهْتُ! وَقُرْفُصَاءُ فُكَّتْ مِنْ ارْتِعَاشَاتِ الشُّهُورَةِ، وَأَذْكُرُهَا تَنْظُرًا إِلَى الْمُحْتَفِلِيْنَ بِانْعِقَادِ حَاجِبِيْهَا، يَقُولُونَ: "مِنْ الْجَنُوبِ جَاءَتْ"، وَكَانَتْ تُغْنِيَّ لَزْمِنَ لَيْسَ لَهَا، وَعَابِرُ سَبِيْلِ كُنْتُ، أَسْتَرْقُ الْحَيَاةَ وَأَبْحَثُ عَنْ لَا شَيْءٍ غَيْرِ قَلْبِي.

## السُّجُود

هَا أَنَا أَبْحَثُ عَنْ حَالَةِ الْمَكَانِ وَأَسْأَلُ قَوْمًا عَنِ الْعَابِرِيْنَ سَبِيْلِ الْهُوَاجِسِ وَالسُّجُودِ. أَيَا أَيُّلُ قُلْ لِقَوْمِكَ إِنَّ طَلَّ أَعْشَابِ الْأَرْضِ يُسْقِطُ الْأَخِيْلَةَ (أَشْعِيَا 19/26). هَا أَنَا مَلَأْتُ جِرَارَ خَمْرِ التَّرْنُحِ وَسَكِرْتُ فِي انْتِهَاءِ كُلِّ طَرِيقٍ. صَلَيْتُ لِلْبِيَامَةِ (عِنَاةً، ابْنَةُ أَيْلِ) عَلَى عَتَبَةِ بِيوتِ مَرْيَمَ (فِلَسْطِيْنِ، مَوْرِيَا الْوَارِدَةِ فِي الثُّورَةِ)، وَبَكَيْتُ حَتَّى الصُّبْحِ فَاتَّقَدَ الرَّمَادُ الْعَتِيْقِ. لَيْسَ لَدَيَّ مِنَ الدُّهُونِ (الْأَوْقَافِ، الْأَمْلاَكِ) غَيْرُ غَسَلِ الْيَدِيْنِ (عَادَةُ طَقْسِيَّةٍ مَهْمَةٌ لِلتَّطْهِيرِ)، وَتَنْفُسِ صَعْدَاءِ الْإِنْبِعَاطِ. أَيَا "أَيُّهَا الْإِلَهُ السَّاكِنُ فِي الْإِمْتِلَاكِ، الْبَيْتُ هُوَ الْبَيْتُ كَمْ أَحْزَنْتُهُ نِهَائِيَةَ الرَّهُوِّ فِي مَخَافَةِ الْإِلَهَةِ" (مِنْ التَّصَوُّصِ الْكِنْعَانِيَّةِ).

أَفِيَا عَدْرَاءُ التي تطوفينَ الجبالَ ابْحَثِي عن "عُنَيْتَةٍ"، وَخُذِي مَعَكَ من سِرِّي سَنِبِلَةً خَصْرَاءَ وَنَبْضَ غَمُوضِ الْقَلْبِ، وَخَبْرِيهَا عن  
 البُوحِ بالسَّرِّ وعن كنعانيِّ يلتحفُ الظَّلَّ ويشربُ من بريقِ الصَّوْتِ كُؤُوسَ الرُّؤْيَا. "بِرَبِّ الأَيَّامِ أَرَأَيْتُمْ؟ يذوبُ الصَّوْتُ في  
 النَّهْرِ وَأَنَا أَلْحَقُ بِهَا مِثْلَ قَمَرٍ حَمْرِيٍّ بَعِيدٍ، كَصَدَى في لَوْنِ الأَفْحُوانِ ... هي تلكَ الأَيَّامُ القَرِيبَةُ البَعِيدَةُ تَسْحَبُنِي بِجِبَالِ بَيْتِ  
 اللَّعْنَاتِ (مَعْبَدِ الآلهَةِ)، وَتَنَحُّتُ في رِيحِ الجَنُوبِ تَمَثَالًا رَمَلِيًّا من الغِنَاءِ. وَمُرْهَفًا، يُنْعَبُنِي هَذَا الثَّوَاتِرُ، يُفْرَعُنِي من نَشْوَةِ  
 الاستِذْكَارِ فَتَلَوُذُ بِي الوانُ ثوبِكِ المُرْزُكَشِ بِثَمَارِ الصُّنُوبِ، وَتَتَلَمَّسُنِي حَالَةٌ من عَبَثِ الحَقِيقَةِ. "أَيْنَ أَنَا؟"، أَسأَلُ! من  
 انْجِرَافِ أَذْرَاجِ الآلهَةِ؟ وَأَيْنَ كُنْتُ عِنْدَمَا ارتعشتُ جِرَارُ الحَمْرِ من رَائِحَةِ الدَّمِ الجَافِّ ومن تَحَسُّسِ الحَرِّ؟ وَغَيْدَاءَ كُنْتُ تَغْنِينِ  
 عِنْدَ غَسَقِ الْقَلْبِ، وَتَعْدِينِ حَالَةً من انْذِهَالَاتِ ظُهُورِ الأَنْبِيَاءِ، وَأَعْدُو كَمِصْبَاحٍ لا يَرَى في ذَاتِهِ غِنَاءَ ذَاتِهِ. أَيْ "عُنَيْتَةٍ" ... !  
 لَمْ تَعْرِفِي ما تَبَقَّى من عُربِيَّتِي في نَسْخِ القَشِّ عِنْدَ أوَّلِ العَرَقِ وأوَّلِ الكَشْفِ، هي زهُورُ السُّوسَنِ التي قَسَمْتُ شِعَاعَ الصَّوِّءِ ما  
 بَيْنِي وَبَيْنَكَ ... وَذَهَبْتُ! فَلَا تَذْهَبِي!..!

## الأُودِيَّة

... وَكَانَ الرِّقْصُ الفِرْعَوْنِيُّ يُشْبِهُ رَائِحَةَ القَطِطِ السَّمِينَةِ، فَتَعُورُ في أَحْدَاقِ الغَوَاءِ لَعْنَةً أَغْصَانِ بُرْتَقَالِيَّةٍ، قُلْتُمْ: "أَيَّا لِهَذَا  
 الجَمَالِ كَيْفَ لا يَخْلُقُ جَمَالًا من جَمَالٍ؟!". قُلْتُ كَيْفَ لا تَرَى من الشَّمْسِ غيرَ تَشَقُّقِ الشِّفَاهِ وَوُجُوهِ صَخْرِيَّةٍ قَاحِلَةٍ؟ يقولونَ  
 في القَرِيبَةِ القَرِيبَةِ: "غَانِيَةٌ مَرَّتْ من هُنَا، تَحْمِلُ في يَدِهَا رَائِحَةَ الصُّنُوبِ، سَكِينًا، وَتَمَثَالًا صَغِيرًا "النِّينَا" (مَغْنِيَةٌ كنعَانِيَّة):  
 تَرَكْبُ عَلى حِصَانٍ أَسْوَدَ؟" سَأَلْتُ. "تَلَيْسَ بَعَبَثِ خُوْدَةٌ جُنُودًا؟"، قالوا، ثُمَّ هَمَسُوا: "وَيَلْمَعُ عَلى جَبِينِهَا سِرٌّ، تَرَكْبُهُ عَلى  
 أَطْرَافِ المَدِينَةِ!". ذَهَبْتُ، وَوَجَدْتُ قَرَبَ الأَسْوَارِ بالدَّمَاءِ مَكْتُوبَةً رُمُوزًا قُرْبَ وَرْدٍ، نَخِيلٍ ... فَارْتَعَشْتُ، خَفَرْتُ ... وَإِذَا  
 بِشُوبِ، سَكِينِ وَقِلَادَةٍ، تَرَقَّدَتْ تَحْتَ التُّرَابِ كَمَنْ يَدْفِنُ نَفْسَهُ في نَفْسِهِ، قُلْتُ: يُقْبِرُ المَاءُ في المَاءِ ولا يَجِدُ المَاءَ إلا العِطَاشُ!

## الذَّاكِرَةُ

كُلُّ القَوَافِلِ تَمُرُّ وَتَكِلُ قَوَافِلُ، لا تَرَجِعُ، تَنْتَهِي، هُنَاكَ في مَنْتَصَفِ طَرِيقِ البَحْرِ، تَحْفَرُ عَلى بَضْعِ صَخْرَاتِ رِوَايَاتِ الرِّجِيلِ  
 وَالاِنْتِهَاءِ. كُلُّ القَوَافِلِ تَمُرُّ ... من هُنَا، تَحْمِلُ ما تَبَقَّى من الذَّاكِرَةِ في صَرَرِ صَغِيرَةٍ من القَشِّ الجَافِّ وَرَائِحَةِ أَسْمَائِهِمْ  
 تَذُوبُ في رَمَلِ الصَّحْرَاءِ، وَعِنْدَمَا لا تَصِلُ تَنكَمِشُ وَجُوهُهُمْ كَالرَّبِيبِ العَتِيقِ وَتَنْدَثِرُ مَلَامِحُهُمْ، أَلْوَانُهُمْ، أَحْلَامُهُمْ، وَتَتَرَكَّبُهُمْ  
 خَلْفَ الأَشْيَاءِ النُّحَاسِيَّةِ ... حَقِيقَةُ الكَيْنُوتَةِ، تَمُرُّ...!! وَأَسأَلُ عَمَّا أَبْحَثُ في الرِّجِيلِ! رَجِيلُ الذَّاتِ أَمِ الطَّرِيقِ؟ إلى أَيْنَ  
 تَذْهَبُ الأَيَّامُ، تُأَخَذُ السَّبَابِيَا، وَأَيْنَ تَرَفُّدُ القُبُورُ ...؟! لَمْ تَعُدْ تَسْعُنِي تِلْكَ القَرِيبَةُ ولا أَطْلَالُ قَلْبِي، أَرَى فِيمَا بَعْدَ الكَلَامِ ...  
 كَلَامًا يَتَّقِدُ في جَمْرِ الكَلَامِ، في خُطَى "عُنَيْتَةٍ" التي تَبَانُ كَحُرُوفِ أبْجَدِيَّةٍ مَقْلُوبَةٍ: أَلْغَرَا كَانَ ذَلِكَ الاِخْتِفَاءُ...؟ أَمْ هُوَ اخْتِفَاءُ  
 الأَلْغَازِ فِي يَشْرُدُنِي فِي الكَلَامِ؟

## الأزمنة

الرَّيَّانُ يَتَفَتُّ عِنْدَ زَاوِيَةِ الْبَيْوتِ يَنْفُضُ عَنْهُ غُبَارَ الصَّوَى ... والمكان!؟ يَسْرِقُ من ذاته المكان، فلا أعود، ولا أعرف كيف  
حُصِبَ التراب، وكيف وُلِدَتِ الأشياءُ ... فَاسْمَعُ من صوتك حالة الصَّوتِ وَيَخْتَبِئُ الوَحْيُ في قَمَرٍ من مَوْجٍ يَتَقَلَّبُ في  
انسياب، أحقيته أنت في الأمس والصمت قبر، والحبُّ آلهة السحاب؟ أم هو لَوْنُ الغِنَاءِ القريبِ يَدْهَلُنِي ثانيةً في تناثرِ  
رَعَشَةِ اللَّمسِ وَفِي انشطارِ الرُّؤْيَا والالتحام، "لا تُوقِفُونِي عَنِ المَوْتِ، ولا تُرْجِعُونِي إلى نَجْمَةٍ من تُرابٍ" (محمود  
درويش)، استوقفوا الخيولَ واسألوا عن "مُمتطي العُيُومِ"، (بغل) مَوْتِي وأصلِ المَرَأَةِ، وعن عُربتي واغترابي فَأَنَا الآنَ أُتَمِّمُ  
أُغْنِيَةً بَعِيدَةً

ولا أصحو

بدلاً عَنِّي

نهر،

في الجَنُوبِ يَصْحُو

ولا أرى.

أصارعُ طَيْرَ الفينيقِ وطريقِ امرأةٍ سوداءَ

لا يبدو

وَيَعْدُو، ذوبانُ الرَّمْلِ في الوجودِ

ولا أرى!

خُدُوا...

خُدُوا بيدي

خُطوةً .. خُطوةً

وادعُوا لَهَا بالسَّلَامَةِ

في

شُعُورٍ من صَقِيعٍ في عَالَمٍ من صُنُوبٍ مُلَوَّنٍ خَلْفَ بَحِيرَةٍ من جِبَالٍ بُرْتُقَالِيَّةٍ في رِيحٍ عَمِيقَةٍ من وَرْدٍ حَسِينٍ.

الآنَ أُتَمِّمُ،

بَدَلًا عَنْهَا!

أَلْفُ ربيعٍ يرحلُ نحوَ مِصرَ

وتأتي

قوافلُ أُخْرَى تأتي

تَعُدُّ شَوْكَ مِربام

ولا أرى

ورأوا

من الطَّرِيقِ طَرِيقَيْنِ

مَكَائِنَ، زَمَانَيْنِ  
وَذَاهِبُ أَنَا  
كُنْتُ أَرَى،  
وَتُرَى  
فِي وَدَاعِ الرُّؤَى  
رَوَايَاتِ البَرْدِ،  
وَأَسْئَلُهُ لَا تُرَى.

### العُتْمَة

في الغابة السوداءِ وقفتُ ... كالطُّفْلِ الضائعِ، أَدْفَنُ مَوْتَايَ كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ المَسَاءِ فِي صَلْصَالٍ مِنْ بِيوتِ كَنُوعَانِ.  
"عُتْمَة" بَيْنَ القَشِّ رُبَّمَا؟! تَخْتَبِي فِي القَشِّ! وَعَادَتِ، رُبَّمَا!! لَا تَخْرِي عَلَيَّ عَبَقِ المَوْتِ، سَتَسْجُدُ لِلْمُصَلِّينَ "عَنَاة"،  
تِلْكَ النُّبُوَّةُ لَا تَسْتَبِيحُ الاستِجْدَاءَ، وَأَنَا لَمْ أَعُدْ أَعْرِفُ الفَرْقَ بَيْنَ الآلهَةِ والغِنَاءِ،  
بَيْنَ المَرَأَةِ وَبَيْنِكَ،  
بَيْنَ ضَفَافِ النَّيْلِ،  
وَبَيْنَ وُقُورَةِ وَادِي المُلُوكِ والاكْتِفَاءِ.  
الآنَ يَأْتِي  
صوتٌ،  
الآنَ،  
يَأْتِي،  
وَيُقْرَبُ بَيْتِ المُجُونِ يَتَرَقَّبُ أَيْلَ، وَتُبْطَلُ نَبوءَةُ انْتِهَاءِ المُلُوكِ السَّبْعَةِ  
صوتٌ مِنْ الانْتِهَاءِ يَأْتِي  
الآنَ  
وَلَا تَنْتَهِي هُوِيَّةُ المَرَأَةِ فِي عُمُقِ الجَسَدِ  
الآنَ يَأْتِي  
لَوْنٌ  
وَحَمْرُ ثَمَرِ اللبْلَابِ لِيَسْقِي عَطَشَ الأَرْمَنَةِ  
وَلَا  
تَزُورِينَ قَبْرَ الأَحَبَّةِ كاخْتِبَاءِ النَّحْلِ قُرْبَ وَرْدَةٍ  
وَلَا  
تُغْنِيَنَّ لِلْمُصَلِّينَ،

للباحثين والثائمين في حالة الأمانة  
بدلاً عنك  
تأتي  
وجوه مفعمة بالموت وبصمت أغنية.  
تنامين تحت ظل السماء بلا قمر،  
وصحراء سوداوية الرمل  
تذيب خطي الأخيلة "بلا شمس إليه مصر"، قلت.  
والآن خطوة من القلب مرت في معدتي كحريق الشوك الجاف  
ولا  
تغنين..  
للذاهبين نحو الرجوع  
للقادمين  
ولا تستفرزين عروق الشهوة في صحارى الذاهبين،  
يقولون من الجنوب جاءت  
رُفوفاً من الحمام جاءت،  
ويحلّق فوق البيت فتات الخبز  
ويأتي  
طائر الفينيق يأتي  
وأنت  
لا ترجعين لأول النشوء في نشوة لحظة،  
أياماً امرأة،  
لم تسافرين؟  
ولم أغامر؟  
هذا السفر يعيب إحساسي الفطري بالنجوم  
الآن  
هذا الصنوبر المزركش يحسن لون الثوب،  
والتمتمة  
تبان كوشي قديم لذاكرة مائية أراها كلما تراني، وتراني كلما أذكر ذاتي وحنيني لغانية.

## الكشف

أَيْنَ أَنَا؟ أَنْتِ؟  
وَقَفْتُ، "أَبْتِ لِمَ تَرَكْتَنِي؟!!" قُلْتُ  
وَصَمَمْتُ الرَّمْلَ  
رَمْلِكَ  
وَحَفْتُ،  
فَنِمْتُ  
فِي رَائِحَةِ الفُصُولِ..  
أَقْتَرَبْتُمْ،  
وَأَقْتَرَبْتُ.  
هَذَا الجَنُونُ مَلْعُونٌ  
صَمْتِكَ،  
مَلَمَسُ الحِجَارَةِ وَجُنُونِي  
مَنْ أَنَا؟ قُلْتُ: "مَنْ هُوَ ذَاكَ الَّذِي يُدْهَلُ مِنْ هَذِيانِ الدَّاتِ، تَقْبِعُ فِيهِ عَوَالِمٌ مِنْ عَدَمٍ عَارٍ مِنْ صَوْتِ كَعْرَقِ الانْعِزَالِ".  
صَوْتِكَ كَانَ سَيَانًا مِثْلَ الصَّمْتِ وَحَقِيقَةً وَجُودِكَ كَانَتْ تُشَوِّهُ انْغِرَازَ الشُّوكِ فِي اللَّحْمِ،  
لِمَ لَا تَبَانُ الفُرُوقُ بَيْنَ المَرَاةِ وَبَيْنِكَ؟ تِلْكَ الأَصْلُ التِّي كَتَبْتُ عَلَى الحِجَارَةِ كَلَامَ القَلْبِ كَانِكِسَارِ المَوْتِ؟!  
الذَّنَابُ تَأْكُلُ لُبَّ الخَبِيزِ عِنْدَ السُّقُوطِ وَلَمَسِ القَاعِ،  
وَأَعْوَادُ الخَشْبِ كَالأَفَاعِي،  
تَبَانُ تَلَهْتُ بَيْنَ شُقُوقِ السَّنَائِلِ،  
تَتَنَفَّسُ فِي أَنْفِي وَتُشَخَّرُ،  
هَذَا الحَوْرُ يَحْمِلُ إِلَيَّ الاستِحَالَةَ فِي أَكْبَاسٍ مِنْ وَرَقِ النِّخِيلِ  
يَحْمِلُ احتِيَالَ الرُّؤَى وَبِرَاءةَ الحِمْلَانِ،  
مُقَدَّسَةٌ حَالَاتُ الوَحْيِ تِلْكَ،  
وَبِرِيءٌ أَنَا مِنَ الفَهْمِ والأَصْلِ والنَّسِيَانِ.  
كُنْتُ أَسْكُبُ عَلَى عَصَاتِي الخَمْرَ  
فَأَرَى العَصَاةَ تُحْرِكُ ذَيْلَهَا كالجِرْوِ الصَّغِيرِ،  
وَأَطُوفُ أَنَا  
بَيْنَ القَرِيَةِ والقَرِيَةِ  
وَكُلُّ شَيْءٍ يَمُرُّ عَلَيَّ كَسَحَابٍ مَأْلُوفٍ أَرَاهُ  
كُلُّ عَامٍ يَمُرُّ فِي نَفْسِ المَكَانِ!  
هَذِهِ الأَيَّامُ،

تَمْرٌ،  
وَالطُّيُورُ الْمُهَاجِرَةُ  
تَعُودُ  
وَهَا أَنَا  
هُنَا  
أَشْغَفْتُ بِالْخُلْمِ الْقَدِيمِ كَسَاقِبَةٍ  
أَدُورُ وَأَعْطَشُ  
وَمُذْهِلَّةٌ خَالَاتُ الْوَحْيِ تِلْكَ  
وَوَيْرِيءُ أَنَا  
بَقِيْتُ هُنَا  
كَالظِّلِّ وَالشُّوْكِ  
أُضِيءُ وَأُقْتَلُ فِي الْمَوْتِ  
فِي أَوَّلِ الْأَشْيَاءِ  
فِي الصَّمْتِ.

## الشَّمْسُ

مَشَيْتُ بِاتِّجَاهِ الْقَمَرِ الْأَزْرَقِ  
أَرَفَسُ التُّرَابَ بَعْصَاتِي وَالْخَرِيفُ الْبُرْتُقَالِي يُسَدُّ عَيْونَهُ،  
وَرَبِيعُ الشِّتَاءِ تَأْتِي إِلَى جِهَتِي كَمُسَافِرٍ يَهْرُبُ مِنْ قَدَرٍ بَارِدٍ.  
عَلَّمْتَنِي الْفَرَاشَاتُ أَنْ أُحِسَّ بِاقْتِرَابِ الْمَصَائِبِ،  
وَقَالَتْ لِي:  
"اذهَبْ، أَنْتَ حُرٌّ مِنْ لَعْنَةِ غَانِيَةٍ".  
قُلْتُ: "أُرِيدُ أَنْ أَجِدَ شَيْئًا، بَحَثْتُ قُرْبَ الْخَرَائِبِ، فَلَمْ أَجِدْ!..  
يَقُولُونَ مِنَ الْجَنُوبِ جَاءَتْ".  
قَمَرٌ عَلَيْكَ وَقَمَرٌ مِنْكَ،  
يَا مَمْتَلِئَةَ الْقَلْبِ، لَقَدْ وَصَلْتُ أَفْصَى الْجَنُوبِ،  
قِمَمَ الْجِبَالِ وَأَبْوَابَ الْكُهُوفِ،  
وَاقْتَرَبْتُ!  
إِلَى مَلْمَسِي وَحَاجَتِي،  
أَفَلَا تَعْرِيفِيَنِّي؟



بَعِيدَةٌ كُنْتُ وَأَنَا بَعِيدٌ،  
استدارت من حُولِي الأَرْضُ  
وَأَنْتِ تَدُورِينَ!  
أَتَعْرِفِينَنِي؟  
لَا أَرَاكَ وَلَا تَرِينَ  
أَتَسْمَعِينَنِي؟  
لَا أَسْمَعُ وَلَا تَسْمَعِينَ.  
الطَّيْرُ يَرْجِعُ إِلَيَّ  
وَقُتَاتُ الْقُطْنِ يَتَطَايِرُ  
وَلَيْسَ هُنَالِكَ مِنْ امْرَأَةٍ  
غَيْرَ مَا أَحْمِلُهُ فِيَّ مِنْ تَرَائِمِ تَارِيخٍ وَذَاكِرَةٍ.

عيسى بُولُص

شيكاغو نيسان - حزيران 1997